الفصل الثاني
الأسرة ودورها فى تعزيز الصحة النفسية لأطفالها

• ماهية الأسرة وخصائصها :

الأسرة فى وصفها الأساسى عبارة عن الوحدة الإنتاجية البيوليجية التى تقوم على زواج شخصين ، ويترتب على هذا الزواج – عادةً – نتاجٌ من الأطفال . كما تعدُّ الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التى يحتكُّ بها الطفل احتكاكًا مستمرًا ومتواصلًا . كما أنَّها تعدُّ المكان الأول الذى تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية التى تُشكِّل "الميلاد الثاني" فى حياة الطفل ، أى تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمى إلى مجتمع بعينه ، يدين بثقافةٍ بذاتها .

كما يمكن اعتبار الأسرة وحدةً حيةً ديناميكية ، لها وظيفة تهدف إلى نموّ الطفل نموًا اجتماعيًا ، وتنشئته تنشئة اجتماعية ، ويتحقق هذا الهدف عن طريق التفاعل العائلى داخل الأسرة ، والذى يلعب دورًا حيويًّا في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه . ولأنَّ الأسرة نظام ديناميكي ، فالعلاقة بين الفرد وأسرته علاقة تبادلية ، فهو يتأثر بها ، ويؤثر فيها ، فلا أحد يعمل بمعزل عن الآخر .

والأسرة نظام اجتماعى ذو خصائص مميَّزة ، وحاجات فريدة ، تربط أفراده علاقات قوية ومؤثِّرة ، بحيث أن أية خبرة تؤثر فى أحد الأفرادِ يصل أثرها إلى الآخرين جميعًا . ومثل هذا القول يستند إلى افتراض مفاده أنَّ الحياة الأسرية الناجحة تعنى تفهم حاجات كل الأعضاء وتلبيتها ، فكل أسرة تتكوَّن من أفراد ، ولكل منهم خصائص شخصيَّة مُعيّنة ، ومواطن قوة وضعف مُحدِّدة ، وعليه فإن خصائص الأسرة تُحدد طبيعة استجابته وردود أفعاله تجاه مشكلات أسرته .

والمقصود بالخصائص الأُسرية : حجمها ، ونمطها ، وخلفيتها الثقافية ، ووضعها الاجتماعي والاقتصادي . أمَّا خصائص الأفراد ، فهى تتمثَّل فى : العُمر ، والصحَّة النفسيَّة ، والسمات الشخصية ، والقدرات العقليَّة ، وغير ذلك.

• أهمية الأسرة :

لمّا كانت الأسرة هى نواة المجتمع الكبير ، والطفل هو نواة الأسرة ، فإن تحقيق الرفاهية للطفل معناه تحقيق السعادة لكل من الأسرة والمجتمع . والمعروف أنَّ شخصيَّة الطفل تتأثَّر وتتشكَّل حسب الجو المُحيط به ، كما أن هناك مُؤثرات لها أكبر الأثر فى تكوين شخصيته ، بحيث تؤثر على مُجمل أفكاره وميوله وثقافته ، ولذلك لاغرو أن نعتبر الأسرة هى المنبع الأساس الذى يرتشف منه الطفل رحيق الاستقامة أو عصير الاعوجاج .

والأسرة هى المجال الاجتماعى المثالى ، والمجتمع الإنسانى الأول ، الذى يمارس فيه الطفل ويباشر أولى علاقاته الاجتماعية ، حيث تغرس فى وجدانه الكثير من القيم والعادات والتقاليد . ويمكننا كذلك اعتبار الأسرة هى المدرسة الأساس لكل طفل ، لأن ما يتعلمه فيها يبقى طوال حياته ، وعن طريقها يكتسب قيمه الاجتماعيَّة ، ومعايير سلوكه ، ويكتسب ضميره الآمر الناهى الذى يُثيبه على قيم الخير لديه ، ويؤنبه على شرّ ما يقترفه، لهذا تُعد الأسرة الوسيلة الرئيسة الأولى للتنشئة الاجتماعية .

وعن طريق المحاكاة والممارسة يتَّخذُ الطفل من والديه – خاصة – وبقية أفراد الأسرة – عامة – مثلًا أعلى له فى كل شىء ، فإذا عرفنا أنَّ عادات الإنسان وطباعه تتكوَّن فى السنوات الأولى من حياته كطفل ، لأدركنا مبلغ أهمية الأسرة فى تكوين الفرد وبالتالي بناء المجتمع .

كما أنَّ الحب الذى يمنحه الأبوان لطفلهما يُعدّ فى حياة الطفل غذاءً ضروريًّا فى نموه النفسى ، هذا الغذاء لا يقل أهمية – بحالٍ من الأحوال – من غذائه الجسدى ، وإنَّ إشباع حاجاته الطفولية الأولى يُساعده على التقدُّم إلى مراحل النمو المستقبلية بسوية تامة . أمَّا الحرمان من هذا الإشباع فينمى لدى الطفل شعورًا بعدم الأمن والأمان ، ممَّا يساعد على نمو الشعور العدائي للعالم من حوله، بل ويستجيب استجابات مَرَضيَّة تتخذ صورًا شتى ، إما بالانسحاب عن العالم والخنوع والسلبية ، وإمَّا بالعنف والقهر والعدوان .

وغير خافٍ على أحد أنَّ نسبةً كبيرةً من الأطفال الجامحين ينتمون إلى أُسرٍ قلقة مفككة ، حيث كانوا يشعرون فيها بالإهمال وبعدم الرَّغبة فى وجودهم من قِبل ذويهم !! أطفالنا إذًا بحاجةٍ إلى أن يشعروا بالأمن والاطمئنان ، وأن يحسوا بالقبول والحبّ غير

المشروط ، فإذا كانت هذه النواحى غير كافية أومعدومة ، فإنَّه يكون من الصعب أن يصبحَ الطفل ناضجًا ، سويًّا ، حسَن التكيُّف من الناحية الوجدانية .

هذا ويؤكد الكثير من الباحثين فى مجال رعاية الطفولة ، أنَّ نوع العلاقة بالوالدين تُحدِّد طريق انتقال الطفل السَّوي من اعتماده المُطلق على غيره إلى الاستقلال المتزايد ، والقدرة على إقامة العلاقات السَّوية مع الموضوعات الخارجية .

• أدوار الأسرة ووظائفها :

الأسرة باعتبارها وسط اجتماعي مُنظِّم ، لذا فهى بيئة تعليم وتدريب للطفل، يكون فيها الوالدان بمثابة مُعلِّمين باعتبارهما وسيطين للتعليم ونموذجين للتعلُّم ، وهذان المُعلِّمان ينقلان للأبناء قيم المجتمع ومعاييره ، كما يقومان بالوظيفة الانتقائية للثقافة المُحيطة بما تتضمنه من عناصر وأدوات ومعانٍ قد تكون متباينة أو متعارضة . وتقوم الأسرة كذلك بعملية التفسير ، فهى تفسِّر للطفل ما تنقله فى إطار معانٍ ثقافية مُحدَّدة تهتم بها وفقًا لثقافتها ، ثم تقوم بعملية التقويم .

وتسهم الأسرة ضمن وظائفها المتعددة فى تكوين أحكام الطفل وفقًا لمعاييرها ، وهو ما يُسمى بـ "الاشتراط الأسري" خصوصًا وأنَّ من أبرز خصائص ثقافة هذا العصر ذلك الفيض المتدفق من تيارات الثقافة وعناصرها ومستحدثاتها ، وما تحمله من عناصر القوة والبناء أو من عوامل الهدم والضعف.

ومن خلال الأسرة وما تتضمنه حياتها من أحداث ومواقف يتكوَّن مفهوم الطفل عن ذاته ، مصادر قوته وضعفه ، وما يتوقعه لنفسه فى الحاضر والمستقبل ، كما ينظم سلوكه، وكيف يتفاعل مع الآخرين .

ويكتسب الطفل من أسرته اللُّغة فى المواقف الحياتية المختلفة كألفاظ التحبُّب وأساليب الشكر والثناء ، أو حتى التهكُّم والتندُّر ، وما إلى غير ذلك من دلالات اجتماعية تحملها اللُّغة ، وينسحب ذلك أيضًا على دلالات اللُّغة الدينية والعقائدية.

ومن خلال الأسرة ينتقل أسلوب حياة الجماعة إلى الطفل ، فكل أسرة تمثل نظامًا اجتماعيًّا ، ووسطًا ثقافياً ذا نمط فريد التنظيم ، والطفل عنصر فعال فى هذا التنظيم، يتعلَّم من خلال تفاعلاته داخل هذه الجماعة وخبرات تؤدى إلى نموّ تنظيمات سلوكية مختلفة لديه .

كما أنَّ الأسرة تُعد الطفل للتغيير ، ولتوقع التغيير ، وهذا يلزم بأنْ تُربى أطفالها تربية استقلالية ، تحليلية ، ناقدة ، حتى يتمكنوا فى المستقبل من الوقوف أمام ما يمكن أنْ يقع من تيارات الغزو الثقافى أو التلويث الفكرى ، وكذلك لزوم بناء الهوية الوطنية حتى يكون المرجع أو المحك فى التأثُر بالتيارات الآتية من خارج أوطاننا العربية ، بناء على قوة داخلية رصينة تستوعب الثقافات الواردة وتتفاعل معها دون أن تذوب أو تضمحل . ولا يكون ذلك إلَّا إذا أحسنت الأسرة دورها المربي اليقظ ، فتدرب الطفل وتقوي إرادته على الفحص والتمحيص وعلى حُسن الاختيار والانتقاء إزاء ما يتعرَّض له من مثيرات متباينة فى المجتمع .

والأسرة بالنسبة للطفل تعتبر "الجماعة المرجعية، أى الجماعة الأولى التى يعتمد الطفل على قيمها ومعاييرها عند تقييمه لسلوكه ، ويتضمَّن ذلك أنَّ الطفل يثبت شخصيته مع أُسرته كجماعة لدرجة أنَّ طُرقها تصبح جزءًا من نفسه . وهذه الطرق تنتج أساسًا من التفاعل بين الأعضاء ، وبذلك يصبح نمط التفاعل بين الأعضاء أنفسهم نموذجًا لسلوك الطفل ، ولذلك تتأثر بها التنشئة الاجتماعية بصورةٍ واضحة إذا كان التفاعل فى الأسرة يتميَّز بالهدوء أو التوتُّر .

وإذا كانت الأسرة هى مرآة تنعكس عليها الثقافة التى توجد فيها ، بما تحتويه من قيم وعادات واتجاهات ، ففى محيطها يستقى الطفل فكرة الصواب والخطأ ، ومنها يتعرَّف على الأساليب السلوكية التى عليه أن يتخذها ، كما يتعلَّم فى الأسرة ما عليه من واجبات وماله من حقوق ، وكيف يتعامل مع غيره وكيف يستجيب لمعاملة الغير .

وعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخُلقية والدينية فى جميع مراحل الطفولة ، بل وفى المراحل التالية لها ، وبفضل الحياة فى الأسرة يتكوَّن لدى الطفل الروح العائلى ، والعواطف الأُسرية المختلفة ، وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعيِّة المنظمة.

وللأسرة دورها الفعال فى الانتقاء والاختيار فى مرحلة ، ثم المساهمة فى الاختيار فى مرحلة أُخرى لاحقة ، ثم التوعية بالاختيار فيما يلحق ، فهى تنتقى اللُّعبة، ثم تنتقى البرامج التلفزيونية ، وتختار الكتاب أو المجلة، ثم قد تسهم فى كل ذلك ، كما تسهم فى اختيار الصديق أو زميل اللعب ، ولكنها لا تستطيع أن تفرض

سيطرتها دائماً ، بل تستطيع أن تزرع حُسن الاختيار بالتوعية الدائمة ، بحيث إن وقع بين يدىّ الطفل كتابٌ رديء، أو شاهد برنامجًا فاسدًا ، أوتعرَّف إلى صديق سيئ الخُلق ، كان مُحصنًا ضدّ هذا كله .

كما تعمل الأسرة على تدريب الأطفال على أنماط السلوك المتطوَّر ، وذلك بتطوير المعايير والقيم والعادات والتقاليد البالية التى لا تساير تطوُّرات العصر والتى ظلت محتفظة بها لفترات طويلة ، حتى توفر المناخ النقى والسليم لتمسك الأطفال بالمعايير والقيم والمُثُل السائدة فى المجتمع الحديث ، كما تعمل الأسرة على تبصير الأطفال بالمعايير والقيم المنحرفة ومن ثمَّ يتبينون أنماط السلوك غير المقبول اجتماعيًّا ، ليتعلَّموا بعد ذلك أنماط السلوك المطلوب ، فمن المهم أن يتمكنوا من مواجهة مختلف التناقضات والانحرافات .

وللأسرة دورٌ فعالٌ فى تنمية خبرات الطفل واتساع معارفه ، حينما تتجاوز حيز المنزل المحدود ، وأفراده القليلين إلى نطاق العائلة الأوسع من جهة ، وإلى الأماكن المختلفة من جهة أُخرى ، حيث يلتقون فى الحدائق والمتنزهات والأندية بنماذج أخرى من البشر، كما يتيحون لهم الاحتكاك بأجواء ثقافية كالمتاحف على اختلافها وحدائق الحيوان والمعارض والرحلات ذات المناشط الثقافية والترويحية ، والأطفال فى كل هذا يزدادون معرفةً وخبرةً.

• الأسرة .. و الصحَّة النفسيَّة لأطفالها :

تلعب الأسرة دورًا حيويًّا فى توجيه سلوك الطفل ومساعدته على أن ينظم دوافعه الوجدانية وعلى أن يكتسب العادات الطيبة والتى تدعم وتقوى قيمه وخُلقه. أمَّا التنشئة التى تسودها روح التعسُّف والعنف والاستبداد ، فإنَّها تؤدي إلى ظهور الاتجاهات الشاذة اللاسوية .

وعلى هذا يمكن القول بأنَّ الطفل الذى ينحرف سلوكه عن الطريق السوى ويفقد صحَّته النفسيَّة هو ضحية الأسرة ، فالمرض النفسي فى صميمه ليس إلَّا علاقة مضطربة بين الفرد والبيئة ، حيث يخبو الانسجام ويضطرب التوافق .

وإذا كان للأسرة دور مهم فى تحقيق الصحَّة النفسيَّة للطفل ، فهناك عوامل تؤثِّر فيها ، نوجزها فى النقاط التالية :

أولًا : سلوك الأبوين تجاه الطفل :

ممَّا لا شك فيه أن سلوك الوالدين له أثره على شخصيَّة الطفل و صحَّتة النفسيَّة ، لأنَّ هذا السلوك يؤثِّر على الطفل تأثيرًا مباشرًا . فالوالدان يزودان الطفل بنماذج سلوكية حيَّة تؤثِّر على سلوكياته فى مختلف النواحي ، فإذا كانت هذه النماذج صالحة تركت أثرًا طيبًا وإيجابيًّا على شخصية الطفل ومُجمل سلوكياته ، وإذا فسدت هذه النماذج وتقمَّصها الطفل امتصّ منها كثيرًا من القيم الفاسدة ، والاتجاهات السالبة ، وهو ما يضر صحَّته النفسيَّة.

ثانيًا : طبيعة العلاقة بين الوالدين :

تؤثِّر العلاقة بين الوالدين على الصحَّة النفسيَّة للطفل ، فإذا كانت هذه العلاقة يسودها الدفء العاطفي من وفاقٍ ، وحُبٍّ وفهم متبادل بين الطفل ووالديه، فيما يتصل بالسياسات التى يتبعانها فى التربية والتنشئة ، ترك هذا أثرًا مُحبّبًا وموجبًا على صحَّة الطفل النفسيَّة ، أمَّا فى حالة الأسرة التى تسودها النزاعات والتفتتات ، فعادةً ما يشعر الطفل بعدم الأمن وفقدان الاطمئنان ، ممَّا يؤثِّر سلبًا على صحَّته النفسيَّة

ثالثًا : اتجاهات الأبوين نحو الطفل :

يتأثَّر الأطفال كثيرًا باتجاهات الآباء نحوهم ، فإذا كانوا متقبلين لأطفالهم بكمالهم ونقائصهم أيضًا ، أسهم ذلك فى تدعيم الصحَّة النفسيَّة لهؤلاء الأطفال، بعكس ما يحدث فى حالة الآباء النابذين للأبناء ، الذين لا يقدمون الحُبّ لأبنائهم، ولا يهتمون بشئون حياتهم ، والطفل فى هذه الحالة يشعر بعدم الرَّغبة فيه ، وأنَّ البيت ليس مكانه الطبيعي، ممَّا يضر بصحَّته النفسيَّة.

وعلى هذا نوصي الآباء بأن يكوِّنوا اتجاهات إيجابية نجو أطفالهم – دون مُغالاة أو تقتير – وأنْ يستمتعوا بهم ويعطوهم كل الفرص المواتية للنموّ والنضج واكتساب الخبرة ، وألَّا يحرموهم من هذا بدافع الخوف عليهم .

رابعاً : تقديم الرعاية للطفل :

الطفل الذى يجد الرعاية المتكاملة من الأسرة هو طفل ينشأ سويًّا ، لذلك ينبغى على الوالدين تقديم كل ما يحتاجه الطفل من رعاية واهتمام ، كتوفير حاجاته من الطعام

والشراب والنوم ، والقيام على رعايته وعلاجه إذا أُصيب بمرضٍ من الأمراض ، وتقديم الحبِّ والاطمئنان والسهر على راحته ، وكذلك رعايته دراسيًّا وتعليميًّا .. إلخ .

خامسًا : إحساس الطفل بالحبِّ والأمن :

لابد أنْ تلتف قلوب أفراد الأسرة حول الطفل – وبخاصة الأب والأم – تُقدِّم له الحبّ غير المشروط ، والعطف ، والمودة ، قلوب تتعلَّق به ولا تستغنى عنه وتسعى لإسعاده ، لا يحرمونه من إقامة علاقات مفيدة مع أقرانه، يشجعونه على الحرية والانطلاق والمرح واللَّعب .

سادسا : تهيئة الفرص لاستثمار مواهب الطفل :

الطفل الذى ينشأ فى بيئة تُهيئ له الفرص كى يبرز مواهبه واستعداداته وإمكاناته المخبوءة الكامنة ، هى أسرة تنطلق بطفلها نحو آفاق السويَّة والصحَّة النفسيَّة ، فالأسرة عليها فى هذا المجال توجيه مواهبه توجيهًا وظيفيًّا مثمرًا ، حتى يتسنى له النجاح والتفوق فيحقق ذاته جيدًا ، وتحقيق الذات – فى تصورنا – ركن جوهري من أركان الشخصيَّة السويَّة الناجحة .

• الأسرة وأخطاء التربية ومدى انعكاسها على صحَّة الطفل النفسيَّة :

يكوِّن الآباء بفضل احتكاكهم الطويل بالحياة عديدًا من الاتجاهات والخبرات النفسيَّة والوجدانية ، التى تجعلهم فى النهاية يكوِّنون على ضوئها ، أحكامهم التى قد يظنون أنَّها أحكام بُنيت على العقل والمنطق ، بينما هى فى واقع الأمر ليست إلَّا تراكمات وجدانية ونفسيَّة سرعان ما تجد لها تنفيسًا وتفريغًا. والذى لا شك فيه أن هذه الخبرات والاتجاهات الوالدية تنعكس بصورة أو بأخرى على تربية الطفل وتنشئته . وفى هذا الجزء سوف نلقى الضوء على بعض الخبرات التى تُشكِّل فى النهاية مردودًا سلبيًّا على تربية الطفل ، وهو ما ينعكس بالسوء على صحَّة الطفل النفسيَّة:

أولًا : إغفال استعدادات الطفل وقدراته :

بعض الآباء لم تمكنهم ظروفهم من تحقيق مقاصدهم أو آمالهم فى الحياة، فقد يكون الأب مولعًا بدراسة الطب ، ولكن ظروفه لم تسمح بتحقيق طموحاته لدراسة الطب، ومن ثمَّ فإنَّه يُزيح طموحه هذا نحو أحد أبنائه ، فيلحقه بالتعليم المؤهِّل لدراسة الطب،

فإذا نجح ، أجْبره على دخول إحدى كليات الطب ، حتى يستطيع أن يُحقق فى حياته ما كان الوالد يتوق إلى تحقيقه . وقد تكون ميول الأبناء الطبيعية واستعداداتهم العقلية والشخصيَّة أدعى إلى توجيههم لدراسة الفنون مثلًا ، ولكن الأب يغفل ذلك ويندفع إلى تجاهله . وهنا يحضرنى مَثَلٌ يُبلور هذا الموقف بوضوح ، فجميعنا يعرف الأديب الكبير "يوسف إدريس" الروائى العبقري صاحب أروع المؤلفات فى القصة القصيرة ، فقد أرادت له أسرته أن يدرس الطب ، فدرسه ، وتخرج طبيبًا ، ولكن سرعان ما هجر الطب واختار لنفسه الأدب الذى نبغ فيه . كذلك يحضرني مثال آخر للشاعر "إبراهيم ناجى" صاحب قصيدة "الأطلال" التى غنتها سيدة الغناء العربي "أم كلثوم" ، فقد تخرج "ناجى" طبيبًا، ولكنه لم يُمارس هذه المهنة وتوجه إلى الإبداع الشعري .

لذا فإننا نقول إن إغفال استعدادات وقدرات وميول أطفالنا وشبابنا يؤدي حتمًا إلى إخفاقهم أو فشلهم ، ومن ثمَّ تتولَّد لديهم ردود الأفعال العدوانية والانتقامية ، ليس نحو أسرهم فحسب ، بل نحو المجتمع بأسره .

ونؤكِّد أنَّه ليس من شيءٍ أبعث إلى الأسى من طفلٍ شَاءَ له حظه العاثر أن يرث أهلًا لا يسمحون له بالنمو الطبيعى ، ويؤمنون بآراء وقناعات مسبقة عمَّا يجب أن يفعل ، أو كيف ينبغى أن يفكر ؟ فليكن واجب الآباء واجب توجيه وإرشاد ، لا واجب قسر وتهديد ، حتى تستقيم صحَّة أطفالنا النفسيَّة .

ثانيًا : التساهل والإهمال فى التربية :

قد يُعانى بعض الآباء فى مطلع حياتهم من الأساليب اللَّا تربوية التى كانوا يُعامَلون بها فى أسرهم ، من قسوة وتسلُّط ، الأمر الذى يؤلمهم فيكبتونه كخبرةٍ من الخبرات السيئة . عندها يتشكك هؤلاء الآباء فى قيمة النظام والسلطة ، فيتركون أطفالهم يفعلون ما شاءوا ، بلا ضابطٍ أو رابط ، فيؤدى ذلك إلى تنشئة أطفالٍ لا يحفلون ألبتة بمراعاة القواعد والأصول سواء داخل المنزل أو خارجه.

أمَّا الإهمال ، فهو يتمثَّل فى ترك الطفل دون تشجيع من والديه – وخاصة الأب – على أي سلوك مرغوب أتى به ، أو دون محاسبة على أى سلوم غير مرغوب فيه قام به ، هذا بالإضافة إلى تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكيات أو ما لايفعله .

وكثيرٌ من الآباء يعانون من مشكلات وضغوط خارجية عديدة ، ممَّا يُحملهم عبئًا

قد ينوء به كاهلهم ، لأن الهمّ يُحاصرهم من كل جانب !! وأحيانًا أخرى تسوء العلاقة بين الزوج وزوجته ، فيترتب على ذلك إهمال الأطفال . ويكون الإهمال فى شكل عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه ، فبينما ينجح الطفل فى المدرسة ويحصل على درجات مرتفعة ، ويحتل مكانة متقدمة بين أقرانه، يأتي إلى البيت فرحًا ليطلع والده على نتيجة عمله ، فلا يجد – للأسف – إلَّا هزَّةً من رأسه لا تعنى شيئًا !! عندها يُصدم الطفل صدمة شديدة ويخيب أمله فى أبيه ، ومن ثمَّ يُصاب بالإحباط ، فلم يعد يجد من الاستذكار أية فائدة تُذكر فى ظل أسرة لا تُقدر قيمة الثواب والتشجيع والتحفيز . وإذا كنا نحن الكبار نحتاج إلى التشجيع والإثابة أو الحاجة إلى النجاح والتفوق .. فما بالنا بالأطفال !!

إنَّ هذا الإهمال قد يُفقد الطفل الإحساس بمكانته فى أسرته ويفقده الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم ، فيترتب على ذلك شخصية ، قلقه ، مُتردِّدة، تتخبط فى سلوكها بلا قواعد أو قوانين أو حدود فاصلة واضحة ، لا غرو أن ينضم الطفل بعد كل هذا إلى جماعات مُحبطة أيضًا من رفاقه وأترابه ، يندمجون فى أعمال سيئة ، لا تحترم القوانين . وكان يمكن تلافى هذا كلّه بالقدر المناسب من التربية الأسرية المتوازنة والمتبصرة بأصول تربية الطفل .

ثالثا : التدليل وفرط الحماية :

يتمثَّل التدليل فى تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته المُلحَّة وغير المُلحَّة فى التوِّ واللَّحظة دون تأجيل ، وقد يتضمَّن التدليل تشجيع الطفل على القيام بألوان من النشاط قد نعتبرها معيبة ، أو خارجة عن المألوف ، أو من الأساليب السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعيًّا، وقد يتضمَّن أيضًا دفاع الأب والأم عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضدّ أى توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الخارج .

ويظهر التدليل بشكل واضح تجاه الطفل وحيد والديه ، حيث ينال رعاية كبرة ، إذ تنحصر فيه آمال الأبوين ، ويتوقَّع منه والده – على الأخص – إنجازات رائعة غير مسبوقة ، فيترتب على ذلك شخصية غير سويَّة ، فهو إذا ما كبر لا يستطيع أن يتحمَّل أية مسئولية يُعهد بها إليه ، وغالبًا ما يكون غير منضبط فى سلوكه وعمله ، فهو دائم الاعتماد على الآخرين . وعلى ذلك فالشخص الذى مُنح الحُبّ فى الطفولة دون ضبط غالبًا ما ينمو مستهترًا فى كبره . ونؤكِّد أنَّه لا يكفى العطف والحنان الذى يضمره الوالد لضمان التوفيق

فى حلّ المشكلات الكثيرة التى تصدر عن الطفل فى سنواته الأولى ، بل الواقع أن هذا الحبّ أو التدليل المبالغ فيه من قِبَل الوالدين للصغير ، قد يكون العقبة التى تُعرقل حُسن قيام الأب والأم بواجباتهما إزاء الطفل ، ذلك لأنَّ الإسراف فى القلق والخشية على الطفل تقف حجر عثرة فى طريق التصرُّف السليم فى كثير من مشكلات الطفل والطفولة .

أمَّا الحماية الزائدة على الطفل ، فتتمثَّل فى أن الأبّ والأمّ يقوم نيابة عن الطفل بالمسئوليات أو الواجبات التى يمكنه أن يقوم بها ، والتى يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن تكون له شخصيَّة قوية استقلالية . وهذا السلوك لا يُتيح للطفل فرصة أن يتخذ القرارات بنفسه ، فالأب مثلًا يتحمَّل مسئولية الدفاع عن الطفل إذا تشاجر مع أحد زملائه أو أقرانه فى المدرسة أو النادي ، دن أن يُترك للطفل الفرصة لتسوية حساباته بنفسه .

والأسرة التى تتبع هذا الأسلوب فى التربية ، قد يكون لأنَّ طفلها وحيد بين عدد من البنات أو العكس ، أو لأنَّه الطفل الأول للأسرة وينقص الأب أو الأم الخبرة الكافية لتربيته، أو لأنَّ الأمّ عانت كثيرًا حتى أنجبته ، أو لأنَّ الطفل ضعيف الصحَّة كثير المرض .

رابعًا : القسوة والتفرقة فى المُعاملة بين الأطفال :

تتمثَّل القسوة فى استخدام أساليب العقاب البدنية ، أى فى كل ما يؤدى إلى إثارة الألم الجسدي كأسلوب فى عملية تربية الطفل ، وهذا الأسلوب الذى يقوم به الأبّ – غالبًا– تجاه أطفاله ، يترتب عليه اعتلال خطير فى صحَّتهم النفسيَّة، والطفل الذى يعتاد الضرب المبرح هو طفلٌ يُنزع إلى التمرُّد والعدوانية كوسيلةٍ للتنفيس والتعويض ، فهو يقوم بتخريب ممتلكات الغير ، ويتلف حاجياتهم ، دون أدنى إحساس بالذنب ، وقد تكون القسوة عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه ، ممَّا يُفقده ثقته بنفسه ، ويجعله مُترددًا فى أي عملٍ يقومم به خوفًا من اللَّوم أو التحقير أو التعنيف .

أمَّا التفرقة فى المعاملة بين الأبناء ، فهى تُعبِّر عن أسلوب لا تربوي يعتمد على عدم المساواة بين الأطفال ، والتفضيل بينهم حسب الجنس ، أو ترتيب الميول .. إلخ فقد تحب الأسرة الذكور عن الإناث ، أو قد ينال الطفل الأصغر عناية خاصة على أنَّه "آخر العنقود" . عموماً .. الطفل الذى يُحَابَى، هو طفلٍ يحب الاستحواز على كل شىء ، لا يعبأ مطلقًا بالآخرين ، شخصيته تعرف حقوقها ولكن لا تعرف واجباتها ، تعرف ما لها ولا تعرف ما عليها .